الفصل الأول

مدرسة المحدثين

إيراد أخبار السيرة والمغازي ضمن كتب السنة، وممن يمثلها:

١ ـ أحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١هـ)، وكتابه: «المسند».

٢ ـ محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة (٢٥٦هـ)، وكتابه: «الجامع الصحيح».

أولاً: إيراد أخبار المغازي والسيرة ضمن كتب السُّنة

تمهيد: سبق الكلام عن كتب السنة في فصل: مصادر السيرة النبوية، وجلَّيت الأمرَ هناك أن المصنِّفين في علم الحديث، كانت غايتهم جمع أحاديث الأحكام، واستقصاء أقوال، وأفعال، وأقضية رسول الله ﷺ، وأنهم أوردوا خلالَ ذلك صفحاتٍ كاملةً، ولوحاتٍ نادرةً من السيرة النبوية. وسوف نكتشف من خلال البحث هنا عن مدرسة المحدثين؛ أنَّ هؤلاء العلماء الجهابذة في علم الحديث أصبحوا من كتَّاب السيرة والمؤرخين للمغازي، إذ صار بإمكاننا أن نجمع أبواب السيرة والمغازي من كتاب أحدهم في مصنف مستقل، وأن نطلقَ عليه اسم السيرة النبوية، أو المغازي النبوية. أو نجمع من كتب الحديث كلِّها الصحيح والحسن من أخبار حياته الكريمة ﷺ موسوعة متكاملة للسيرة النبوية.

وقبلَ البدء بالكلام المُسْهَب عن نماذجَ من كتب السُّنَّة، لابد أن أُسجِّلَ الخصائصَ العامَّة لها، والتي على ضوئها نستطيعُ أن نُحدِّدَ طرائقَها، ومناهجَها العلمية في شروط اختيار رواياتها، وأخبارها، ونتبيَّنَ مدى أهمية الحقائق العلمية، والأحداث التأريخية، التي حصلنا علينا، ونحن نجمعُ أخبارَ السيرة من كتب السنة النبوية، وهذه الخصائص هي:

أولاً ـ الروايات في كتب الحديث دائماً عبارة عن متن يتقدَّمُه الإسناد، وإذا كان السطح لا يُرتقى من غير سُلَّم؛ فإن الحديث أو الخبر لا يُقبل ولا يُسمع من غير إسناد.

ثانياً ـ تختلف كتب الحديث في شروط اختياراتها من حيث الإسناد والمتن، وأخبارها على درجات من حيث الصحة، وفقاً لمنهجها العلميِّ في تطبيق علم الجرح والتعديل.

ثالثاً ـ في هذه الكتب الحديثية مُتَابعة لأحداث السيرة، ولكنها غير متكاملة، فتبقى مواقف مهمة، وفجوات تأريخية، لا يمكن استدراكها إلا من كتب السير، والتأريخ العام للمغازي، وللسنوات النبوية التي عاشها الرسول الكريم ﷺ بعد البعثة، قبل الهجرة وبعدها.

رابعاً ـ الترتيب الزمني مفقود في كتب السُّنة؛ لأن أخبار السيرة والمغازي ترد ضمن أبواب فقهية، أو ضمن مسند الصحابيّ الذي رواها؛ مما يضطر الباحث إلى تحديد، وترتيب الأحاديث زمنياً، معتمداً في ذلك على كتب السيرة المرتبة على السنين.

خامساً ـ الروايات الصحيحة في تصانيف المحدثين، والمشتملة على شرط الصحة سنداً ومتناً تدعم ما أوردته كتب السيرة، وتعضد أخبارها المنقطعة، أو المعضلة.

سادساً ـ النصوصُ الواردةُ في كتب الحديث ـ وصحَّ إسنادها ومتنها ـ بعيدةٌ عن أيِّ تأثير أو تأثُّر سياسي، أو رأيٍ

٢ ـ إمامته في علم الحديث:

اتجه أحمد إلى طلب الحديث في سنة (١٧٩هـ) وعمره ست عشرة سنة، فسمع من علماء بغداد، ولزمَ بعض المحدِّثين فيها إلى سنة (١٨٦هـ) وكان مثال الجد، والحرص، والنشاط، ثم رحل في طلب الحديث إلى البصرة، ثم إلى الحجاز، ورحلَ إلى اليمن، وإلى الكوفة، وإلى الشام والجزيرة، حتى بلغ منصب الإمامة والحفظ في علم الحديث، وأصبح يحفظ ألفَ ألفِ حديث... وجلسَ للتدريس والفتيا، وعمره أربعون سنة، فكان إقبالُ الناس على مجلسه عظيماً، وكانت مجالسُه تمتاز بالوقار والسكينة، لما تحلَّى به الإمام أحمد من نصرة السُّنَّة، والثبات في المحنة[1]، والاتصاف بالزهادة والورع، حتى توفاه الله سنة (٢٤١هـ) ببغداد.

٣ ـ التعريف بكتابه المسند:

مسند الإمام أحمد كغيره من المسانيد، الأحاديث فيه مرتبة حسب الصحابيِّ الذي رواها، ومن غير أيِّ مراعاة لأبوابها أو موضوعاتها، فمسند أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، يبدأ بحديث في التفسير، ثم بحديث في الصلاة، ثم بحديث عن بعض وقائع الهجرة النبوية.. وهكذا.

---

(١) رفض أن يقول: إن القرآن مخلوق، فَجُلِدَ وحبس في خلافة الواثق سنة (٢٢٠هـ)، وأُفرج عنه في خلافة المتوكل، لما ألغى القول بخلق القرآن.

وقد رتَّب الإمام أحمد الصحابة في مسنده وفق عدد من الاعتبارات، منها: الأفضلية، والسابقة في الإسلام، والشرف في النسب، وكثرة الرواية.

فبدأ بالخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل البيت، ثم المكثرين من الرواية، ثم المكيين، ثم المدنيين، ثم الشاميين، ثم الكوفيين، ثم البصريين، ثم الأنصار، ثم النساء.

وبدأ الإمام بتأليف المسند نحو سنة (٢٠٠هـ) وعمره ست وثلاثون سنة، وقد ضمَّنه أربعين ألف حديث مع المكرر، وثلاثين ألف حديث من غير المكرر، رواها عن (٢٨٣) شيخاً، وكتبه في أوراق مفردة، وفرَّقه في أجزاء منفردة، ورواه لولده عبد الله نسخاً وأجزاء، وكان يأمره: أن ضع هذا في مسند فلان، وهذا في مسند فلان[١].

قال عبد الله بن أحمد: خرَّج أبي المسندَ من سبعمئة ألف حديث. وقال: قلت لأبي: لم كرهتَ وضعَ الكتب وقد عملتَ «المسند»؟ فقال: عملتُ هذا الكتابَ إماماً، إذا اختلفَ الناس في سُنَّة عن رسول الله ﷺ رُجِعَ إليه[٢].

وفي نحو عام (٢٢٥هـ) عقيب محنة القول بخلق القرآن، شرع الإمامُ بإسماع المسند لولديه صالح وعبدالله، وابن عمِّه

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢٢).

(٢) خصائص المسند، للمديني (ص٢٥).

حنبل بن إسحاق، وإعادة النظر في أحاديثه، وكان يأمر ابنه عبد الله بالضرب على ما يتبين له علة فيه.

وكان عبد الله أكثرهم سماعاً، وقد انفرد بروايته، وزاد فيه أحاديث كثيرة عن مشايخه مما يُماثله ويُشابهه، ولكنه لم يُحرِّر ترتيب المسند، ولا سهَّله، ولا هذَّبه، بل أبقاه على حاله[1].

وأحاديث المسند تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الصحيح، والحسن، والضعيف، وكل قسم ينقسم إلى قسمين؛ فالصحيح: منه الصحيح لذاته، والصحيح لغيره. والحسن: منه الحسن لذاته، والحسن لغيره. والضعيف: منه الخفيف الضعف، ومنه الشديد الضعف.

ولعلماء الحديث أقوال ومواقف في الانتصار للمسند، والذبّ عنه، ولا شكَّ أن الحافظ ابن حجر من المنصفين عندما يقول: «ومسند أحمد ادَّعَى قوم فيه الصحة، وكذا في شيوخه، وصنَّف الحافظ أبو موسى المديني في ذلك تصنيفاً. والحقُّ أن أحاديثه غالبُها جياد، والضعاف منها إنما يُوردها للمتابعات، وفيه القليل من الضعاف الغرائب الأفراد، أخرجها، ثم صار يضربُ عليها شيئاً فشيئاً، وبقي منها بعده بقية»[2].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٤).

(٢) تعجيل المنفعة؛ للحافظ ابن حجر (ص٦).

٤ ـ أخبار السيرة والمغازي في المسند، ونماذج منها:

المسند الحنبليّ أصل كبير، ومرجع وثيق بين كتب السُّنَّة، وهو حافلٌ بأخبار السيرة والمغازي، ويهمّنا ما انفرد به، أو زاد على ما في الكتب الستة أو غيره من المسانيد.

وللاستفادة من هذه الثروة الإخبارية لابد من استعراض أحاديث المسند ورواياته كلِّها، وتصنيفها إلى موضوعات رئيسة وفرعية في مختلف أبواب السيرة، وموضوعاتها. ويُغنينا عن هذا العناء ما قام به العلماءُ من ترتيب المسند وتقريبه، وبخاصة الذين رتَّبوه على الأبواب والموضوعات، ولئن فقدنا بعضَ هذه الأعمال، أو لم يصلنا بعضُها؛ فإنَّ كتبَ الزوائد، والأطراف، والمعاجم المفهرسة تسدُّ هذا النقص، وتضع بين أيدينا مادة غزيرة تشتمل على روايات من السيرة والمغازي، والدلائل والشمائل، ويجمعها كلُّها المسند بين دفتيه.

أ ـ وفيما يلي تعريف بالكتب التي خدمتْ مسندَ أحمد، وبيان مدى ما يُستفاد منها في مجال علوم السيرة النبوية، عامة، وما استفدته في اختيار النماذج؛ للتعرُّف على منهج الإمام وطريقته؛ خاصة:

١ ـ ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب صحيح البخاري، لابن زُكْنون، المتوفى سنة (٨٣٧هـ) سمَّاه «الكواكب الدراري» وشرح فيه المسند في (١٢٠ مجلداً) وطريقته أنه إذا جاء لحديث الإفك مثلاً؛ يأخذ نسخة من شرحه للقاضي

عياض، فيضعها بتمامها، وإذا مرَّت به مسألة فيها تصنيف مفرد لابن القيم أو شيخه ابن تيمية، أو غيرهما، وضعه بتمامه، ويستوفي ذاك الباب من المغني؛ لابن قدامة، ونحوه. وفي مكتبة الأسد العامرة بدمشق مجلدات مخطوطة من هذا الكتاب، استعرضتُ جميع بطاقاتها، وبعض أفلامها المصورة، فلم أعثر فيها على قسم السيرة، أو الجهاد، أو المغازي، وإنما جميعها يدور حول العبادات، والمعاملات، والحدود.

وقد علمتُ من الدكتور زهير بن ناصر الناصر، المشرف على قسم الباحثين في مركز خدمة السنة والسيرة في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، وسمعت منه مباشرة أن أحد الباحثين يُعدُّ رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع السيرة النبوية؛ لابن زُكنون، وهو جزء من كتابه الحافل «الكواكب الدراري» وأرجو الله تعالى أن يُقدِّر لي الاطلاع على هذه الرسالة، والتعريف بها قبل طباعة هذا البحث.

٢ ـ ترتيب المسند؛ لابن زُرَيْق، المتوفى سنة (٨٤١هـ)، وهذا العملُ لم يصلنا، وربما فُقد إلى الأبد؛ لأنه عدم في الكائنة العظمى بدمشق، وهي كائنة تيمور سنة (٨٠٣هـ).

٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ للهيثمي، المتوفى سنة (٨٠٧هـ)، وهو مرتب على الأبواب والموضوعات، وجمع فيه زوائد المعاجم الثلاثة للطبراني، والمسانيد لأحمد، والبزار، وأبي يعلى، على الكتب الستة. وقد عزوت إليه

النماذج التي اخترتها من المسند، وأوردتُ منه حكم الهيثمي على أسانيدها.

٤ ـ أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل[١]، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ) تحقيق الدكتور زهير بن ناصر الناصر، وقد استطعت من خلال رموز أطرافه أن أتعرَّف على أخبار السيرة التي تفرَّد بروايتها الإمام أحمد، وانتقيت النماذج المطلوبة، كما اهتديت بسهولة من خلال عمل المحقق إلى أماكنها في المسند.

٥ ـ الفتح الربَّاني، لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني[٢]، للشيخ العلامة أحمد بن عبد الرحمن البنا، الشهير بالساعاتي المتوفى سنة (١٣٧١هـ). وقد رتب المسند على سبعة أقسام: التوحيد، وأصول الدين، والفقه، وتفسير القرآن، والترغيب والترهيب، والتأريخ، وأحوال الآخرة، وما يتقدَّم ذلك من الفتن، وقد أفرد روايات السيرة وحوادثها، والمعجزات والشمائل في الأجزاء (٢٠ و٢١ و٢٢).

٦ ـ طبعة المسند المحققة؛ للشيخ العلامة أحمد محمد شاكر المتوفى سنة (١٣٧٧هـ)، وهي طبعة محققة، ومرقمة، ومخرَّجة، وصدر منها خمسة عشر جزءاً، وتمتاز بفهارسها العلمية في نهاية كل جزء، وبخاصة فهرس موضوعاتها الذي

---

(١) صدر الكتاب عن دار ابن كثير ودار الكلم الطيب في دمشق وبيروت في عشر مجلدات سنة (١٤١٤هـ).

(٢) الكتاب مطبوع في القاهرة في أربعة وعشرين جزءاً.

ييسّر الوصول إلى موضوعات السيرة النبوية خاصة بسهولة ويسر تحت عنوان «رسول الله» وعنوان «الجهاد والغزوات».

٧ ـ طبعة المسند، الصادرة عن مؤسسة الرسالة في بيروت بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، والتي تمتاز بالعناية التامة، والتحقيق الأمثل، والتخريج الأوفى.. وبين يديَّ خمسة أجزاء من هذه الطبعة، صدرت سنة (١٤١٣هـ). وكم كنت أتمنى أن تُوضع في نهاية كل جزء فهارس وافية للموضوعات، وفق ما صنعه الشيخ أحمد شاكر ـ يرحمه الله ـ وربما يصنعون هذا في نهاية المسند مع فهارس الرواة، وأطراف الأحاديث.

ب ـ نماذج من أخبار السيرة النبوية في المسند، تشتمل على خبر من الحياة النبوية، وخبرٍ من مغازيه، ودلائل نبوته، وشمائله:

١ ـ السيرة النبوية:

حديث الهجرة: حدثنا عبد الله، حدَّثني أبي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حمَّاد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس، قال:

لما هاجر رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يركبُ وأبو بكر رديفُه، وكان أبو بكر يعرفُ في الطريق لاختلافه إلى الشام، وكان يمرُّ بالقوم، فيقولون: من هذا بين يديْكَ يا أبا بكر؟! فيقول: هادٍ يهديني. فلما دنوا من المدينة بعثَ إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار، إلى أبي أمامة وأصحابه، فخرجوا إليهما، فقالوا: ادخلا آمنين مُطاعيْن، فدخلا. قال

أنس: فما رأيتُ يوماً قطُّ أنورَ، ولا أحسنَ من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة. وشهدتُ وفاته فما رأيتُ يوماً قطُّ أظلم، ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله ﷺ فيه[1].

حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا هاشم، حدثنا سليمان، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال:

إني لأسعى في الغِلْمان، يقولون: جاء محمد، فأسعى، فلا أرى شيئاً. ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى، فلا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر، فكنا في بعض حرار المدينة، ثم بعثنا رجلٌ من أهل المدينة ليؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمئة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين، فأقبل رسولُ الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم. فخرج أهل المدينة، حتى إن العواتق فوق البيوت يتراءَينه، يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ قال: فما رأينا منظراً مشبهاً به يومئذ. قال أنس بن مالك: ولقد رأيته يوم دخل علينا، ويومَ قُبض، فلم أر يومين مشبهاً بهما[2].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٢) و(٣/ ٢٢٢ و٢٤٠)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٦٠) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٨٧). وحِرَارٌ، وحرَّات: جمع حَرَّة، وهي: =

مَثَلُه في قومه: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال:

خرج إلينا النبيُّ ﷺ يوماً فنادى ثلاث مِرارٍ، فقال: «يا أيُّها الناس! تدرون ما مثلي ومثلكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتيهم، فبعثوا رجلاً يتراءى لهم، فبينما هم كذلك أبصرَ العدو، فأقبلَ لينذرَهم، وخشي أن يُدركه العدو قبل أن يُنذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس! أُتيتم، أيها الناس: أتيتم، ثلاث مرار»[1].

٢ ـ المغازي:

من مشاهد بدر: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا يونس، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس، قال: وحدَّث أنس بن مالك: أن نبيَّ الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فألقوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث، قال: وكان إذا ظهرَ على قوم أقام بالعَرَصة ثلاث ليالٍ. قال: فلما ظهر على بدر أقام ثلاث ليال، حتى إذا كان الثالث أمر براحلته فشُدَّت برحلها، ثم مشى، واتَّبعه أصحابه. قالوا: فما نراه ينطلق إلا ليقضي حاجتَه. قال: حتى قام على شفة الطوي قال: فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان! أسرَّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ هل وجدتم ما وعدكم

= الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النَّحِرات، كأنها أُحرقت بالنار.

(١) رواه أحمد (٥/٣٤٨).

ربكم حقاً؟!» قال عمر: يا نبيَّ الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟! قال: «والذي نفس محمد بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: أحياهم الله عز وجل له حتى سمعوا قوله توبيخاً، وتصغيراً، ونقيمة[1].

من مشاهد خيبر: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: فحدَّثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال: خرجَ مَرْحَب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مَرْحَبُ شاكي السِّلاح بَطَلٌ مُجرّبُ
أطعن أحياناً وحيناً أضربُ إذ الليوث أقبلت تلَهَّبُ
كان حماي لحمى لا يقربُ

وهو يقول: من مبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لهذا؟» فقال محمد بن مَسْلَمة: أنا له يا رسول الله! وأنا والله المأتور الثائر، قتلوا أخي بالأمس. قال: «فقم إليه، اللهم أعنه عليه» فما دنا أحدُهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه، اقتطع بسيفه ما دونه، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فَنَن، ثم حمل مرحب على محمد، فضربه، فاتقى بالدرقة، فوقع سيفه

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٤٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٩١)، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

فيها، فعضَّت به، فأمسكته، وضربَه محمد بن مسلمة حتى قتله[1].

٣ ـ دلائل النبوة:

* **أعطي رسولُ الله ﷺ ما لم يُعطَ أحدٌ من الأنبياء**: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زهير، عن عبد الله ـ يعني ابن محمد بن عقيل ـ عن محمد بن علي، أنه سمع عليَّ بن أبي طالب يقول: قال رسول الله ﷺ: «نصرتُ بالرُّعب، وأُعطيتُ مفاتيحَ الأرضِ، وسُمِّيتُ أحمدَ، وجُعلَ الترابُ لي طَهُوراً، وجعلت أُمَّتي خير الأمم»[2].

* **كل المخلوقات تعلم أنه رسول الله**: حدثنا عبد الله، حدَّثني أبي، حدثنا مصعب بن سلام سمعته من أبي مرتين، حدَّثنا الأجلح، عن الذيَّال بن حرملة، عن جابر بن عبد الله قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجَّار إذا فيه جملٌ، لا يدخل الحائط أحدٌ إلا شدَّ عليه. قال: فذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ، فجاء حتى أتى الحائط، فدعا البعير، فجاء واضعاً مِشْفرَه إلى الأرض،

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٨٥) وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١٥٠) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد ثقات.

(٢) رواه أحمد (١/ ٩٨) وهو في مجمع الزوائد (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) وأعلَّه بعبد الله بن محمد بن عقيل، ثم قال: فالحديث حسن. وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٧٦٣) لأن عبد الله بن محمد بن عقيل ثقة.

حتى برك بين يديْه. قال: فقال النبيُّ ﷺ: «هاتوا خطاماً» فخطمَه، ودفعه إلى صاحبه. قال: ثم التفتَ إلى الناس، وقال: «إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس»[1].

٤ ـ من الشَّمائل:

● **وصفُ حاله حين الخطبة**: حدثنا كثير بن هشام، حدثنا هشام، عن أبي الزبير، عن عبد الله بن سَلِمة أو مَسْلمة، قال كثير: وحفظي: سَلِمة، عن عليٍّ أو عن الزبير، قال: كان رسولُ الله ﷺ يخطبنا، فيذكرنا بأيام الله، حتى نعرفَ ذلك في وجهه، وكأنه نذير قوم يُصَبِّحُهمُ الأمرُ غدوةً، وكان إذا كان حديث عهدٍ بجبريل لم يتبسَّم ضاحكاً[2].

● **إذا أصبح من الليلة التي يعرضُ فيها القرآن**: حدثنا يعلى، حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: كان رسولُ الله ﷺ يعرضُ الكتابَ على جبريل عليه السلام في كل رمضان، فإذا أصبحَ رسولُ الله ﷺ من الليلة التي يعرضُ فيها ما يعرضُ أصبحَ وهو أجودُ من الرِّيح المرسلة، لا يُسأل عن شيء إلا

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣١٠) وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ٧) وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف.

(٢) رواه أحمد(١/ ١٦٧) وهو في مجمع الزوائد (٢/ ١٨٨) وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده برقم (١٤٣٧).

أعطاه، فلما كان في الشهر الذي هلكَ بعده؛ عرضَ عليه عَرْضتيْن[1].

٥ ـ منهج الإمام أحمد في المسند:

١ ـ إن شخصية الإمام أحمد ظاهرة في حشد روايات أخبار السيرة على اختلاف موضوعاتها، وذلك بإسناد كل حديث، أو خبر، إلى شيخ من شيوخه، وهذا يجعلنا نميز زيادات ابنه عبد الله الصريحة أو المبهمة، وذلك بالكشف عن اسم الشيخ، وسنة وفاته. كما تظهر شخصية الإمام في تساهله بالرواية عن ضعفاء، وبخاصة في الفضائل[2]، واعتداله في الجرح والتعديل، مع حرصه على عدم الرواية عن كذَّاب أو وضَّاع[3].

٢ ـ الأسلوب في جميع روايات المسند عامَّة، وروايات السيرة خاصة، حديثيٌّ صرف، يتكرر الحديث الواحد بتكرار طرقه، مع الاختلاف اليسير في اللفظ أحياناً، ويعتمد الإمام فيه على السماع والكتابة على أوراق، والحفاظ على النص

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٣١) وقال القاري في شرح شمائل الترمذي (٢/ ٢٠٨): وقد رواه عن ابن عباس الشيخان، لكن مع تخالف في بعض الألفاظ. وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٢٠٤٢).

(٢) قال الإمام أحمد: إذا جاء الحديث في فضائل الأعمال، وثوابها، وترغيبها؛ تساهلنا في إسناده، وإذا جاء الحديث في الحدود، والكفَّارات، والفرائض تشدَّدنا فيه. شذرات الذهب (٢/ ٩٨).

(٣) منهاج السنة؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٧).

بلفظه، وإذا حدَّث لم يعتمد على حفظه، ولا يُحدِّث إلا من كتابه، وكان يُوصي بذلك. قال يحيى بن معين: دخلتُ على أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقلت له: أوصني. فقال: لا تُحدِّث المسند إلا من كتاب[1]. وكان شديدَ الحرص على إيراد ألفاظ التحمُّل كما سمعها مثل: «حدثنا» «أخبرنا» «سمعت» «عن» ويظهر هذا واضحاً إذا روى الحديث عن أكثر من شيخ.

٣ ـ لم يقصد الإمامُ في مسنده جمع الحديث الصحيح فقط، ولم يُدخل السقيم، وإنما جمع ما اشتهرَ[2]، وهو بالتالي يعرض الأخبار والأحداث بأمانة ظاهرة، وحياد تامٍّ، وهذا نابعٌ من حرفيَّة المحدِّثين في تقييد النص، والاكتفاء بالجمع، وترك العهدة على الراوي.

٤ ـ لقد استمرَّ الإمام ينظر في أوراق المسند، ويضربُ على بعض الأحاديث[3] التي لها علة، حتى وفاته، وتركه في عهدة ابنه عبد الله، وهو أشبه ما يكون بالمسوَّدة. وروى عبد الله «المسند» ولم يحرر ترتيبه، ولم يهذّبه، أو يسهله، وإنما أضاف أحاديث كثيرة عن مشايخه، وكذلك فعلَ راوي

---

(١) شذرات الذهب، لابن العماد (٢/ ٩٧).

(٢) نقل ابن الجوزي من خط القاضي أبي يعلى الفرَّاء: إنما روى أحمد في «مسنده» ما اشتهر، ولم يقصد الصحيح ولا السقيم. صيد الخاطر (ص٢٤٦).

(٣) انظر خصائص المسند (ص٢٤).

المسند «القطيعي» فزاد فيه أحاديث في مسند الأنصار، وأشار الذهبي إلى أن هذه الزيادات غير محكمة في المتن والإسناد[1].

والذي يَهمُّنا في نقد روايات السيرة المذكورة في «المسند» أن نعرضها على كتاب العلل[2]؛ للإمام أحمد، والذي تظهرُ فيه شخصية الإمام ناقداً للإسناد إذا كان فيه مجهول أو ضعيف تارةً، وللمتن إذا كان فيه شذوذ أو علَّة تارة أخرى.

وإن لم نجد لروايات السيرة ذكراً في كتاب العلل؛ فلا بُدَّ من عرضها على منهج المحدثين، وتطبيق قواعد الجرح والتعديل على رجال الإسناد، وقواعد النقد على المتن، والاستنارة بأقوال علماء الحديث المنصفين والمتوسطين بين التشدد والتساهل، إن كان لهم كلام في تصحيح خبر أو تضعيفه، مع اتفاقنا على أن سكوت الإمام أحمد على حديث في المسند لا يعني أنه صحيح[3].

٥ ـ والجدير بالاهتمام أن المسند يزخر بروايات هائلة تدخل في موضوعات السيرة والمغازي، ومما يؤكد هذه

---

(١) ميزان الاعتدال؛ للذهبي (١/ ٥١٢).

(٢) كتاب العلل مطبوع في المكتب الإسلامي سنة (١٩٨٨م) بتحقيق الدكتور وصي الله بن محمد عباس، في أربعة أجزاء.

(٣) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وأخرج أبي في «المسند» أحاديث معلولة، بعضها ذكر عِلَلَها، وسائرها في كتاب «العلل» لئلا يُخرَّجَ في الصحيح. فهرست ابن خير (ص١٤٠).

الأهمية من حيث الكم قول الإمام أحمد عن المسند: «كلُّ حديث لا يُوجد في هذا المسند فليس بحجة»[1]. وقوله: «عملتُ هذا الكتاب إماماً، وإذا اختلفَ النَّاسُ في سُنَّة رسول الله ﷺ رُجع إليه»[2].

ومن المُلفت للانتباه أن كثيراً من روايات الواقدي والمشتملة على أخبار السيرة والمغازي نجدها في المسند، وقد رواها الإمام أحمد عن شيوخه؛ مما يزيد من أهمية المسند، باعتباره مورداً، وحكماً، للباحثين في علوم السيرة، وموضوعاتها المحدَّدة.

* * *

(١) خصائص المسند، للمديني (ص١٢).
(٢) المصدر السابق (ص٢٢).